

صورة الإنسان

بين الحقيقة القرآنية المطلقة والفكر السيكولوجي المعاصر

The image of man

between absolute Quranic truth and contemporary psychological thought

د. زروالي وسيلة¹

جامعة أم البواقي. الجزائر

frzeroualiwassila@yahoo

تاريخ الوصول 2019/06/14 القبول 2021/02/15 النشر على الخط 2021/03/15

Received 14/06/2019 Accepted 15/02/2021. Published online 15/03/2021

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة هي: ما خصائص النفس الإنسانية في القرآن الكريم؟ ما هي صورة الإنسان في القرآن الكريم؟ ما أهداف خلق الإنسان في القرآن الكريم؟، ما هي صورة الإنسان في الفكر السيكولوجي المعاصر؟ وباستخدام منهج البحث الوصفي، ومنهج البحث الاستقرائي توصلت نتائج هذه الدراسة إلى أن الصورة التي خلق الله عليها الإنسان هي أحسن وأجمل صورة وأن الإنسان يستطيع بالإيمان والعمل الصالح أن يحصل على أفضل صورة يرغب في الوصول إليها، وفق قواعد وشروط حددها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم. كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن السيكولوجيين الغربيين لم يهتموا بما يعتبر عالمية السلوك الإنساني إلا مؤخراً، بل كان الاهتمام منصبا على دراسة السلوك البشري في إطار الثقافة الغربية بدلا من دراسة السلوك البشري في إطار الانتماء للجنس البشري، وأنه يمكن لعلماء النفس في العالم الإسلامي أن يقدموا إسهامات جليلة للإنسانية بعرض الحقيقة القرآنية عن النفس الإنسانية من خلال تبني منهج البحث العلمي القائم على الاستقصاء والأدلة.

الكلمات المفتاحية: الإنسان ؛ الحقيقة القرآنية ؛ المطلقة ؛ الفكر ؛ المعاصر.

Abstract:

This Study aims at answering a set of questions: What are the goals of human creation in the Holy Quran? What are the characteristics of the human soul in the Holy Quran? What is the image of man in the Holy Quran? What is the human image of contemporary psychological thought? Using the methodology of descriptive research and the method of inductive research, the results of this study show that the image created by God is the best and most beautiful image, and that man can, by faith and good deeds, obtain the best image he wishes to reach according to the rules and conditions set by God in the Holy Quran. The results of the study also found that Western psychologists did not care about the universality of human behavior until recently. Rather, the focus was on studying human behavior within the framework of Western culture rather than studying human behavior in the context of belonging to the human race. Islami did not make great contributions to humanity by presenting the Qur'anic truth about the human soul by adopting a research-based approach to inquiry and evidence.

Keywords: Human ; Quranic truth; Absolute; Thought; Contemporary.

1. مقدمة:

لقد تباينت الرؤى البشرية حول طبيعة الإنسان وصورته وتعددت، وإن من علماء النفس من بنى أطروحاته وتصوراتهم ونظرياتهم عن الإنسان وشخصيته على حقائق يراها موضوعية، وإن كانت هي في الواقع متناقضة في كثير من الجوانب فغدا كل واحد منهم ينظر ويجمع الأدلة ليبرهن على صدق تحليلاته ورؤاهو ظهرت تيارات عديدة في علم النفس تعبر عن مدارس مختلفة في رؤيتها لطبيعة الإنسان. وإن المتأمل في القرآن الكريم لسوف يجد أن الإنسان هو محور أي القرآن الكريم كله هذه المعجزة الخالدة التي خص بها الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين رسوله الكريم "محمد بن عبد الله" صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه وتعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 15-16)؛ فالقرآن الكريم كله دعوة للإنسان من أول آية إلى آخر آية وهي إما تتحدث عن الإنسان، أو تتوجه بالخطاب إليه وإلى الناس جميعاً. ولقد ذكر الإنسان في أول سورة نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ (العلق: 1-6)؛ وصورته؛ ولذلك ستحاول هذه الدراسة الكشف عن صورة الإنسان بين الحقيقة القرآنية المطلقة والفكر السيكولوجي المعاصر من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1) ما خصائص النفس الإنسانية في القرآن الكريم؟
- 2) ما صورة الإنسان في القرآن الكريم؟
- 3) ما أهداف خلق الإنسان في القرآن الكريم؟
- 4) ما صورة الإنسان في الفكر السيكولوجي المعاصر؟

1.1 أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. الكشف عن خصائص النفس الإنسانية في القرآن الكريم.
2. الكشف عن صورة الإنسان في القرآن الكريم.
3. الكشف عن أهداف خلق الإنسان في القرآن الكريم.
4. الكشف عن صورة الإنسان في الفكر السيكولوجي المعاصر

2.1 أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الإشارة إلى ما يلي:

- 1) إن علم النفس بشكله الحالي إنما هو إنتاج وثمر غربية لواقع وبيئة ولتصور غربي عن طبيعة الإنسان وصورته بشكل خاص، وعن الحياة وأسلوبها وأهدافها بشكل عام، وأن هذه الصورة تجاهلت الإنسان بكل أبعاده خاصة منها الجانب الروحي، والذي يعبر أكثر عن إنسانية الإنسان، وأن هذه الصورة الجزئية تبقى قاصرة مهما برع صاحبها في الإتيان بالأدلة على صحتها ومنطقيتها، وإن الرؤية الإسلامية تستطيع أن تقدم لعلم النفس المعاصر رؤية متميزة تستطيع الإجابة عن كثير من الأسئلة الصعبة والحيرة كطبيعة الإنسان، ودوره في الحياة.
- 2) القرآن الكريم حافل بالآيات التي تتحدث عن الإنسان وعن الجانب النفسي فيه، وهي تحتاج إلى منهج وأسلوب علمي وإلى جهود بشرية تكشف جانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، وتقدم تصوراً آخر لطبيعة وصورة الإنسان لا يناقض الطبيعة البشرية ولا الحقيقة القرآنية.

1.3 منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة في دراستها مناهج البحث التالية:

1. المنهج الوصفي.

2. المنهج الاستنباطي.

1.4 الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة، والتي أمكن للباحثة العثور عليها ما يلي:

(1) دراسة عشوي (1997)¹:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن صورة الإنسان المتكامل في القرآن الكريم، وقد توصلت نتائج الدراسة أن الإنسان كما وصف في القرآن الكريم كائن ذو جسم وروح وعقل ووجدان وانفعال وذو أخلاق اكتسبها عبر القرون فأصبحت جزءاً من طبيعته الجبلية أو الموروثة، ورغم تأكيد القرآن الكريم على الملامح الأساسية للإنسان بصفاته السلبية والإيجابية؛ فإن القرآن الكريم يبين وبكل وضوح أن الصفات السلبية قابلة للتغير والتحسين بالتعلم والتعليم والتربية وبكل عمليات التنشئة الاجتماعية في مختلف مراحل العمر التي يمر بها الإنسان من الولادة إلى الوفاة.

(2) دراسة Hague (2004)²:

هدفت هذه الدراسة إلى تقصي وجهة النظر الإسلامية حول علم النفس، فقد كتب المسلمون في وقت مبكر وعلى نطاق واسع عن الطبيعة البشرية ما أطلق عليه علم النفسات أو المعرفة الذاتية، ولقد توصلت نتائج هذه الدراسة إلى أن مساهمات علماء المسلمين البارزين في علم النفس جليلة وأن أعمالهم هي الأفكار الأصلية للعديد من النظريات والممارسات النفسية في الأيام الحديثة. وما هو مثير للاهتمام هو أن الكثير مما كتبه هؤلاء العلماء في وقت مبكر قد تم مزجه مع الفلسفة الإسلامية والأفكار الدينية.

(3) دراسة الجرجاوي (2009)³:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن آراء علماء الغرب المسلمين في أصل الطبيعة الإنسانية أهي خيرة أم شريرة والتعرف على مدى انعكاسات التربية لهذا الموضوع على فلسفة التربية والسياسات التعليمية المتبعة وقد استخدمت الباحثة المنهج الاستنباطي، والمنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج كان أهمها أن دراسة جدلية الخير والشر عند علماء المسلمين، والغرباء انعكاسات تربوية في المنهج وتوجيه الأهداف التربوية العامة. وبناء على ذلك فقد أوصت الباحثة بتوصيات كان أهمها: ضرورة تعريف المرء المسلم بخبايا الطبيعة الإنسانية، وما فيها من دوافع وميول وانفعالات وعواطف.

(4) دراسة Yucel (2014)⁴:

هدفت هذه الدراسة إلى تقصي التفكير الإيجابي من خلال عدسة القرون الوسطى في أعمال المتصوفة والأدباء المسلمين، ومن خلال التأسي بالأنبياء والرسل عبر مناقشة مفهومي "حسن الظن" و"سوء الظن"، وقد توصلت الدراسة إلى أن طرق تفكير الشخص تشكل تدريجياً

¹ عشوي، مصطفى. "الإنسان المتكامل في القرآن الكريم". المؤتمر العالمي عن الإرشاد والعلاج النفسي (كوالالمبور)، 1992.

² Haque Amber, Psychology from Islamic Perspective. "Contributions of Early Muslim Scholars and Challenges to Contemporary Muslim Psychologists" *Journal of Religion and Health*, Vol. 43, No. 4 (Winter, 2004), p. 357-377.

³ الجرجاوي، زياد علي. "جدلية الخير والشر في النفس الإنسانية في الفكر التربوي الغربي والإسلامي - دراسة مقارنة"، مجلة جامعة الخليل للبحوث : العلوم الإنسانية، مجلد 3، عدد 2، 2009، ص 391.

شخصيته وهويته، والتي سوف تؤثر على الخيارات المستقبلية، وأن أحد طرق النجاح هو دراسة حياة الأشخاص الناجحين وبالتفصيل والنظر في الخطوات التي اتخذوها، والطريقة التي تفاعلوا بها مع الأحداث، والأعمال التي تركوها وراءهم، كما توصلت نتائج الدراسة أن الأنبياء كانوا من أفضل نماذج التفكير الإيجابي والتي تجلت بشكل أساسي في القدرة على "قراءة الكون" أو فهم الحقيقة من وجوهها المتعددة، وقد خلصت الدراسة إلى أنه يجب أن يكون هناك نهج شامل يجمع بين الأساليب الحديثة في مجالات الصحة وعلم النفس والروحانيات وعلم الاجتماع؛ لأن البشر هم مزيج من الجسد والعقل والقلب والروح؛ وبالتالي فإن مساهمة العلماء الجليلية في هذا الشأن، ولخير الإنسانية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار دراسة التفكير الإيجابي، وأن تعالج احتياجات هذه الأجزاء الأربعة أي الجسد والعقل والقلب والروح.

(5) دراسة Shehu (2015):¹

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة توضيح وجهة النظر الإسلامية للنمو وللتطور المعرفي عند الإنسان، من خلال العديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتي تم إحصاءها والتي عبرت بشكل صريح أو ضمني عن النمو المعرفي، كما تم الاستعانة بتفسيرات العلماء الأصيلة والموثوقة المقدمة من قبل علماء الدين والباحثين المحدثين. وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك نحو تسعة (9) مراحل من التطور أو النمو المعرفي والتي تم استخراجها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وهي: فترة الإدراك الحسي (من الميلاد إلى سنتين)، الطفولة المبكرة (من سنتين إلى سبع سنوات)، سن التمييز أو الطفولة المتأخرة (من سبع إلى عشر سنوات) سن المراهقة (من 10 عشر سنوات إلى 15 سنة)، سن البلوغ (من 10 سنوات إلى 33 سنة)، سن بلوغ الأشد (من 33 سنة إلى 40 سنة)، سن التوقف (من 40 إلى 60 سنة)، سن الشيخوخة (من 60 إلى 80)، سن أرذل العمر (من 80 سنة فأكثر)، كما توصلت نتائج الدراسة أن القرآن الكريم يؤكد أن البشر يختبرون بعضاً من أشكال التدهور المعرفي مع سن الشيخوخة.

(6) دراسة kasapoglu (2017):²

تسببت التطورات العلمية المعاصرة في الحاجة إلى التأويل النفسي المنطقي، و توضيح الفهم القرآني أو بمعنى آخر الكشف عن الآيات القرآنية التي ترتبط - بشكل مباشر أو غير مباشر - بالمحتوى النفسي، وإظهار المنظور القرآني لمفهوم الإنسان، والكشف عن أحد جوانب إعجاز القرآنما يتيح فرصة لشرح القرآن إلى العقول العلمانية وتوضيح دليل "الحياة"، ووضع منظور فريد للباحثين وتقديم الكلمة الإلهية وفقاً لاحتياجات وتوقعات المسلمين في العصر الحالي، وتدريب شخصية الإنسان على أساس القيم الإلهية، والاستفادة من القرآن بطريقة أكثر استنارة وكفاءة للصحة العقلية، وفهم حكمة القيم الإلهية وإظهار تناغمها مع الواقع النفسي، والاستفادة من الأمثال القرآنية على أعلى مستوى، والحاجة إلى أخذ علم النفس البشري في الاعتبار حتى في القضايا التي لا ترتبط مباشرة بعلم النفس، والرغبة في عرض الحقائق النفسية على القرآن، وتوفير منظور جديد (إسلامي) في مجال علم النفس، وتحديد الجوانب المتداخلة والمتضاربة من علم النفس الحديث والمفهوم البشري للإسلام.

2. الإجابة عن أسئلة الدراسة:

1.2 الإجابة عن السؤال الأول:

¹. Shehu, Salisu "A Study of the Islamic Perspective of Cognitive Development and Its

Implications in Education in the Muslim World". *Revelation and Science*. 2015. 5(1), p.1-9

²Kasapoğlu, Abdurrahman. "Significance of Psychological Hermeneutics The Needs, Benefits". *Hikmet Yirdu*. 2017. 10 (19). P. 9-51.

ينص السؤال الأول على: ما خصائص نفس الإنسان في القرآن الكريم؟

خصائص نفس الإنسان في القرآن الكريم:

إن التأمل في الآيات القرآنية الكريمة يجد أن الإنسان دون غيره من سائر المخلوقات قد تميز بالعديد من الخصائص والتي تقوم في جوهرها على المسؤولية والتكليف وحرية الاختيار، والتي تؤثر بشكل ظاهر على سلوكه حيث أجمع العلماء على أنها:

1) الفطرة:

تكاد كتب التفسير تجمع على أن المقصود بالفطرة هو الخلقة أو الجبلة ، وهي تعد أساساً لارتقاء الإنسان بذاته وبنفسه وبمن حوله ، وهي من أهم الخصائص التي تتصف بها النفس البشرية مقارنة بالمخلوقات الأخرى، وأنها هي التوحيد الخالص، فالنفس البشرية مفعورة على التوحيد، ولديها استعدادات متساوية للقيام بأعمال الخير وأعمال الشر، وبناءً على ذلك لا يمكن تسميتها بالخير أو الشريرة، وإنما يمكن تسمية الأفعال التي تقوم بها هذه النفس بالأعمال الحيرة أو الشريرة حسب ما يكون الفعل؛ فهي بذلك تمتلك الإرادة في الاختيار ما بين الخير أو الشر¹ لذلك يقول الله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 7-10) .

2) التكليف:

تأتي النفس الإنسانية وفق هدي القرآن الكريم بالأعمال وفق استطاعتها وقدرتها ، فلا تشدد ولا تنطع ولا رهبانية ، وإنما سهولة ويسر في التنفيذ؛ مما يسمح للنفس الإنسانية باختيار اليسير من الأعمال، فقد ثبت عن السيدة "عائشة" رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، ولأن تكليف النفس الإنسانية يتطلب المسؤولية عما تفعل أو تتصرف ، فإنها إن أدت ما عليها من تكاليف كان الأجر والثواب، وإن قصرت في أدائها كان العقاب² ، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: 286).

3) حرية الاختيار:

إن الله عز وجل عندما خلق الإنسان جعله مفعوراً على فعل الخير ، وله قابلية لفعل الشر وعندما كلف الإنسان بما يستطيع القيام به من الأعمال وفقاً لقدراته واستعداداته المختلفة، وجب أن يكون لديه إرادة وحرية في الاختيار، بل إن ذلك من مظاهر التكريم لها . فأمر تقوم به إنما يكون بإرادته واختياره؛ وبذلك يكون الإنسان معرض للابتلاء بالخير والشر امتحاناً لإرادته واختياره لعزيمته، وهذا الابتلاء هو أصل التكليف وأساس المسؤولية الأخلاقية³ . قال تعالى في كتابه العزيز ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا، كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: 18-20).

4) المسؤولية:

النفس مصدر أساس للسلوك الإنساني، وهي في ضوء طاقتها المسؤولة عن دفعه وتحريكه، فالسلوك الإنساني تتحكم فيه الملكات العقلية كال تفكير، والتعلم، والانتباه، والإرادة والتذكر والتحليل ، وكذا الانفعالات الوجدانية كالإحساس باللذة، والألم والفرح، والحزن، أو الغضب

¹ ص 12-13. الحولي، عليان. شلدان، فايز. " خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية".

² المرجع السابق ، ص 13-14.

³ المرجع السابق ، ص 17-21 .

والخوف، ويظهر من خلال نصوص القرآن الكريم أن كل إنسان مسؤول مسؤولية خاصة عن أفعاله وتصرفاته ؛ فهو مسؤول عما اكتسب من خير ، أو شر محاسب عليه محاسبة فردية¹. قال تعالى في كتابه الكريم ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: 95) ويبقى باب التوبة مفتوح له ما كان حيا ، ثم الجزاء العادل له يوم القيامة ، ولذلك عليه أن يجتهد في تركية نفسه، وتهذيب أخلاقه² يقول تعالى في كتابه الكريم ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا، مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: 13-15)

2.2 الإجابة على السؤال الثاني:

ينص السؤال الثاني على: ما صورة الإنسان في القرآن الكريم؟

صورة الإنسان في القرآن الكريم:

لقد وصف القرآن الكريم الإنسان وصفا واقعيا تجلّى في ذكر الصفات السلبية والإيجابية، والتي تميزه عن باقي المخلوقات في هذا الكون الشاسع ،ولكن هذا الوصف لم يكن وصفا نمطيا تبسيطيا، بل إن المتتبع لهذا الوصف في القرآن الكريم يلاحظ مدى تعقد الطبيعة البشرية³ ، فالإنسان مزيج متفاعلمن جسد وعقل وقلب ونفس وروح ،ولقد أبدع الله أحسن الخالقين في صنع الإنسان وفق تركيبة دقيقة بمرت الإنسان حين أوصله التقدم العلمي والتقني إلى تعرف اكتشاف بعض مكوناته ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل : 88) سواء ما تعلق منها بالجانب الجسدي ، أو العقلي والوجداني فكثيرا ما توجه آيات القرآن الكريم نظر الإنسان لكي يلتفت ويتمعن ويتأمل في خلقه و في نفسه.

والقرآن الكريم في وصفه للإنسان يعرض الصورة الإيجابية للإنسان أو لمرتبة أحسن تقويم والتي يمثلها الأنبياء والرسل والصدّيقون ومن اهتدى بهديهم إلى يوم البعث والجزاء، ويعرض الصورة السلبية أو مرتبة أسفل سافلين والذي يمثلها الإنسان حينما يستسلم لطبيعة الطين في تركيبته البشرية وحينما يضل عن طريق الصراط المستقيم ويمثل هذه الصورة الإنسان الشارد عن هدي الله سبحانه وتعالى وكذا المنافقين ومرتكبي الكبائر، وأوصاف إنسان مرتبة أحسن تقويم هي نقائص أوصاف إنسان درك أسفل السافلين، كما يلي :

صورة الإنسان السلبية:

وصف الإنسان بالصفات السلبية إنما ينطبق أساسا على الإنسان الذي يعصى الله تعالى، ولقد وصف الإنسان في القرآن الكريم بعدة أوصاف سلبية لكن يمكن تقسيم هذه الصفات إلى صفتين أساسيتين تتوزع على منحى بياني لتمثيل متغير القوة عند الإنسان يقبع في أحد طرفيه الضعف ويقبع في الطرف المقابل الطغيان، وتنطوي تحتها مجموعة من الصفات كما يلي :

1) الضعف:

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28) والضعف قد يكون جسميا، وجدانيا، عقليا والضعف ملازم للإنسان في كل مراحل عمره وخاصة في المرحلة الجنينية، ومرحلة الطفولة، ومرحلة الشيخوخة⁴، وهذا ما توضحه الآية الكريمة في سورة الروم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ

¹ المرجع السابق، ص 22 .

² المرجع السابق، ص 22

³ عشوي، مصطفى. تصور الطبيعة البشرية من منظور نفسي مقارن". الشبكة العربية النفسية. دت، ص 5 .

⁴ عشوي، مصطفى. «الإنسان المتكامل في القرآن الكريم». المؤتمر العالمي عن الإرشاد والعلاج النفسي (كوالالمبور)، 1992 م.

جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (الروم: 54) وعند المرض والمواقف الصعبة والحرجة بل وحتى في بعض المواقف العاطفية¹.

أ. النسيان: يبدو أن النسيان آفة مرتبطة بالإنسان منذ أن خلق؛ وهذه صفة أساسية في الإنسان إلى حد أنه روي عن ابن عباس أنه قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فني. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِي﴾ (طه: 115)

ب. العجلة: يقول تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ (الأنبياء: 37) ويقول تعالى أيضا في وصف عجلة الإنسان: ﴿وَيَذُوقُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: 11) ومن السهل ملاحظة مدى استعجال الإنسان، وكيف أن هذا السلوك الغالب عليه يشكل عاملا من عوامل ضعفه؛ إذ غالبا ما يرتكب الإنسان حماقات جارحة وأخطاء قاتلة بسبب الاستعجال في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات وخاصة تحت تأثير الانفعالات، أو الاستعجال للوصول إلى الهدف أو المراد.

ج. اليأس والقنوط: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء: 83) والملاحظ من هذه الآية أن الإنسان غالبا ما يعرض عن ذكر الله في حالة النعمة، ولكنه يئوس، قنوط إذا مسه الشر في البر والبحر والجو؛ كما يرتبط القنوط من رحمة الله بالضلال حيث يقول تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: 56)

د. الهلع والجزع: يقول تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: 19-21)، فالهلع هو شعور هائل بالخوف والرعب، أما الجزع فهو من مستويات الخوف الزائد إذا أصابه ما لا يرجو ويحب؛ وإذا أصابه الخير نسبته إلى نفسه وقدراته ونسي فضل الله عليه، بل ويستخدم هذا الخير في إفساد الأرض بدل إصلاحها، ويعيث ظلما وفسادا بأن ينسى الآخرين وحقوقهم²؛ مما يدل على اتصاف الإنسان بالضعف.

2) الطغيان:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾ (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى (7) (العلق: 6-7)، ونلاحظ من هذه الآية كيف قرن الله تعالى بين الطغيان والاستغناء وغالبا ما يقتزن الغرور بالطغيان في السلوك؛ وهو أشد الارتباط بالغي والتملك والظلم والجهل. ومن أهم الصفات التي يمكن أن تنجر عن الطغيان ما يلي:

أ. الكفر: "المقصود بالكفر في هذه الآيات هو كفر النعمة أو كفر الملة أو كليهما. والكفر سلوك يقوم به الإنسان وهو في كامل قواه العقلية؛ أي أنه ليس كفرا تحت الاضطراب أو الضغط والإكراه بل غالبا ما يكون في حالة النعمة والرخاء والهناء. ولربما هو العكس في غالب الأحوال؛ أي أن الإنسان عندما يصاب بمصيبة أو بمحنة أو بابتلاء غالبا ما يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء العريض والتقرب والعبادة.

ب. الظلم والجهل: لعله في القرآن الكريم ما اقترنت صفتان سلبيتان عند الإنسان كما اقترنت الظلم والجهل. ويبدو ذلك واضحا في قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (الأحزاب: 72)

ج. البخل: يلاحظ البخل كصفة وسلوك عند الإنسان بدرجات متفاوتة. والملاحظ أيضا أن البخل قد ذكر في القرآن الكريم مقترنا بصفات أخرى، وسلوك آخر مثل الاستغناء والتولي والإعراض وكتمان نعم الله وخشية الإنفاق؛ وهذا ما يظهر في الآيات الآتي قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (الإسراء: 100) وللبخل كصفة أساسية في الإنسان مثل بقية

¹ عشوي، مصطفى، المرجع السابق.

² الشربيني، لطفي. "الإشارات النفسية في القرآن الكريم"، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، عدد 23، ص 4-5.

الصفات الأخرى مستويات متباينة ؛ فقد يكون البخل شديدا حتى يصبح بخلا عن النفس وعن الأهل والأقارب أشده الأمر بالبخل وكنمان فضل الله .

د. الحسد: هذه صفة قديمة في خبرة الإنسان، والحسد ليست صفة فردية فقط وإنما قد تكون صفة جماعية يتسم بها قوم بأكملهم¹. يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (البقرة: 109) صورة الإنسان الإيجابية في القرآن الكريم:

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة قال تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن: 3) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار: 6 - 8)

وإن المستقرى آيات القرآن الكريم السابقة ليستخلص أن الإنسان في الأصل قد خلق في أحسن وأفضل صورة ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة : 7).

قال الله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾ (سورة العصر) ، يقول الإمام الشافعي: " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم"¹ ، يقصد سورة العصر، فقد حوت جماع الخصال الإنسانية ، فكل إنسان عاقل يعرف أنه في خسر، وأنه لن يستطيع أن يرتفع إلا إذا اتصف بالصفات الأربعة التالية:

(1) الإيمان:

قال تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: 257) فالإيمان هو أصل الحياة الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير² وهو القوة العاصمة عن الدنيا، الدافعة إلى المكرمات.

(2) العمل الصالح:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: 97) وتعبر الصالحات عام مطلق يتضمن كل نوع من أنواع الخير والبر والمعروف تعبديا كان أم غير تعبدى كما أن الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. وقد تشمل السمعة الطيبة، التيسير، التوفيق، الصحة الجسمية والنفسية، الرضا، الفرح والسرور.

(2) التواصي بالحق:

والوصية تكون من الإنسان لنفسه ولغيره، والتواصي تذكير بالقرى في الهدف والغاية وتشجيع على حمل الأمانة ولأن الحق ثقیل والنهوض به عسير، وتلازمه الخن والمعوقات عنه كثيرة : هوى النفس ومنطق المصلحة وطغيان الطغاة وظلم الظالمين فقد قرن الحق بالتواصي الذي يفيد المشاركة فلا يكفي أن يلتزم الإنسان بالشئ بل يجب أن يتضامن الناس فيما بينهم ويوصي بعضهم بعضا، فإذا ضعف إنسان أمام التزام ما يأتي أخ مؤمن له ليذكره ويشجعه على الثبات على الحق وهذا هو التكافل الإيماني فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معا فتضاعف، تتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويشاركه الهدف والغاية ويحمل معه العبء والأمانة ويقف معه ولا يخذله.

(3) التواصي بالصبر:

¹ رجب، عادل عبد اللطيف، مقومات النجاة في سورة العصر (دراسة تحليلية موضوعية، مجلة كلية الدين بأسبوط ع33 ، ص 492 -

² رجب، عادل عبد اللطيف، المرجع السابق، ص502.

وإن الحق يحتاج إلى الصبر مطلق الصبر، صبر على الطاعات، وصبر عن الشهوات، وصبر على النائبات. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: 186)، فالصبر من الأشياء التي تعطي قوة في العزيمة؛ مما ينعكس على قوة الشخصية وإيجابيتها.

3.3 الإجابة عن السؤال الثالث:

ينص السؤال الثالث على: ما أهداف خلق الإنسان في القرآن الكريم؟

ثالثاً-أهداف خلق الإنسان في القرآن الكريم:

لا يمكن للإنسان أن يستقر نفسياً، ويتجه الوجهة الصحيحة التي تبعده عن المستويات العالية من الضلال والانحراف والأزمات بشتى صورها، وتيسر له القيام بأدواره وتحمل مسؤولياته في الخلافة وعمارة الأرض كما حددها الله سبحانه إلا إذا عرف غاية وجوده، وأنه بعض صغير من هذا الكون الشاسع، وأنه لم يخلق عبثاً¹ قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمن: 115). وكذلك هذا الإنسان لم يكن ليترك سدى قال تعالى: ﴿أَبْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَاقِلَةً فَأَخْلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة: 36).

لقد خلق الإنسان لهدف ولغاية، ولم يخلق ليأكل ويتمتع كما يعتقد ويسلك كثير من الناس فتلك حياة الجسد وربما تكون أقرب إلى حياة الأنعام منها إلى حياة الإنسان قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: 12)، فإذا استدبحنا الإنسان فكرة أنه خلق ليأكل ويعيش ويتمتع والتي يستدخلها الإنسان عادة من البيئة المحيطة به ترجمت هذه الأفكار والقناعات وظهرت في سلوكيات مرتكزها الأنانية والطمع والحسد والبخل قال تعالى ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: 116)، أي أن لا تعبأ أيها الإنسان بما يعتقد أكثر البشر لأن لا دليل له ولا سند له.

1) العبادة:

يقول الله في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)

يقول النابلسي سؤال كبير؟ إذا عرفت لماذا خلقت، إذا عرفت الهدف سعيت نحوه، وتركت ما سواه، فإذا كان الإنسان ضائعاً، حائرًا، ضالاً، متخبطاً، ممزقاً، ضل سعيه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعا² ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: 103-104)

العبودية لله هي رسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا وبما أن طبيعة الإنسان تميل إلى العبودية، فإنها إن لم تكن لله كانت لغيره مما يستجلب مشاعر الضياع، والتهيب، والشك، والحيرة؛ ولذلك فإن العبودية لله تعني إدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير³، كما أن العبودية لله تعالى تحرر الإنسان من الخضوع لغير الله تعالى، ومن الاستسلام للآلهة المزيفة، فيصبح حراً طليقاً من كل سلطان إلا سلطان الله تعالى⁴. كما أن عبادة الله تحرر الإنسان من الطغيان ومن الكبر، ومن الغرور؛ إذ أن المتكبر ينشر في المجتمع معادلة الازدراء المتبادل فهو يزدري الناس لأنه

¹ أبو سمعان، محمد. "منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة-دراسة نقدية في ضوء الإسلام" (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2011 م)، ص 7.

² النابلسي، محمد راتب. الهدف من خلق الإنسان. 1987.

³ المرجع السابق.

⁴ عبد الله، ناصر يوسف "مقاصد العبادة في القرآن الكريم". مجلة كلية العلوم الإسلامية. 2013 م، ص 2.

يرى نفسه أفضل منهم ، وهم يزدرونه لتعالیه وسوء خلقه¹؛ مما قد ينعكس على سوء توافقه النفسي والاجتماعي، يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60).

2) الخلافة في الأرض:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30) وتبعية الاستخلاف تعني تسخير موارد الأرض للإنسان ليعمل على إنتاج السلع والخدمات للخلق الآخرين²، وكل عمل ابن آدم محاسب عليه، قال تعالى ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 129) وضمنيا تتحقق الخلافة بمجموعة من الضوابط التي يجب أن تحكم سلوك الإنسان من أهمها:

- أ) أن الله هو المالك الحقيقي لهذه الأرض: قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: 165)
- ب) الإيمان بأن الله سخر ما في الكون لخدمة الإنسان³: قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (ابراهيم: 32-34)
- كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بتهيئة الحياة له، وتسخير ما فيها لمنفعته، وسرى هذا التسخير في كل ما في الكون مما يتفاعل معه الإنسان، ويحتاج إليه، حيث سخر الله للإنسان ما هو أكبر منه خلقا، وأعظم منه جسما، وأكثر منه خطرا و أثرا⁴.
- ج) استغلال الموارد في مساعدة الإنسان على عبادة الله: لقد سخر الله سبحانه وتعالى الأرض وما فيها للإنسان وليستثمر منافع الكون وخيراته ليقوى على العبودية، وليكون جديرا بالخلافة وحمل الأمانة الكبرى أمانة التكليف والمسؤولية فيصهره الابتلاء، وتصلقه التكليف، وبذلك ينضج ويعد حياة أخرى هي حياة الخلود والبقاء والأبد الذي لا ينقطع⁵.

3) عمارة الأرض:

يقول تعالى ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61)

يقوم مفهوم عمارة الأرض في الإسلام على الشرط السابق وهو الخلافة في الأرض، و لقد جاء لفظ الإسلام لمفهوم عمارة الأرض كمفهوم ذو دلالة أوسع من المفهوم الوضعي للتنمية، والتي تنحصر في الجانب المادي وتغفل الحاجات الروحية، حيث يحتل فيها التوزيع، ولا يتمتع فيها كل الأفراد بحد الكفاية في المأكل والمشرب وسائر الحاجات، فالآية تؤكد على وجوب عمارة الأرض بالزراعة والغرس والأبنية، فعمارة الأرض لا تقوم إلا بالعمل الذي يوازن بين متطلبات الجسد وحياة الروح التي هي أصل الحياة الحقيقة؛ وبالتالي فإن هذا التوازن هو الذي يضمن الحياة الموصلة إلى مرضاة الله وإلى الجنة⁶؛ ولذلك يقتضي مفهوم عمارة الأرض التفوق والصدارة والريادة في كل ميادين الحياة، والتي من أهمها إنتاج المعرفة وإدارتها لا استهلاكها وتبنيها، وإن كانت تحمل أطروحات تناقض نوااميس الكون، وسنة الله في خلقه.

4.2 الإجابة على السؤال الرابع:

¹ آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم دراسة موضوعية. (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2008م)، ص 101. البرش، نعيمة.

² الأحمد، سهيل محمد. "تنمية الموارد البشرية من منظور إسلامي". مجلة جامعة الأقصى. العدد 1، 2012م، ص 151.

³ مرجع سابق، ص 151.

⁴ العجمي، أبو يزيد. حقيقة الإنسان بين المسؤولية والتكريم. القاهرة: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، 1988، ص 82.

⁵ المرجع السابق، ص 152.

⁶ المرجع السابق، ص 152.

ينص السؤال الرابع على: ما صورة الإنسان في الفكر السيكولوجي المعاصر؟

صورة الإنسان في الفكر السيكولوجي المعاصر:

تباين الأفكار السيكولوجية وأسبابه:

لقد انتهى العلماء من خلال تحليلاتهم لمختلف الآراء والأبحاث عن الإنسان إلى أن التصور الذي وضعه علماء النفس للإنسان لم يكن انطلاقاً من أبحاثهم ودراساتهم المجردة فقط بل لقد ساهم فيه التصور الضمني الذي نشأ على التعامل به داخل مجتمعاتهم، فلقد شهد علم النفس وما زال يشهد

تبايناً في وجهات نظر العالمين فيه، ومن الطبيعي، من الوجهة الأخلاقية ذاتها، أن تنشأ نظريات سيكولوجية متعددة ومختلفة ومتعارضة تبعاً لتعدد البيئات الثقافية واختلافها أو تعارضها فعلماء النفس الفرنسيون مثلاً، انطلقوا من خلفية سوسيولوجية فيتناء ولقضايا النفس وكان اهتمامهم منصباً بالدرجة الأولى نحو إبراز دور المؤسسات والدوائر الاجتماعية في تكوين سمات الشخصية السوية والمرضية على حد سواء. والمدارس التي تظهر تفهماً لانياتنا تصعود النازية إلى السلطة كانت تنظر إلى النفس كجوهر خاص متميز عن الظواهر الطبيعية. ولذا فإنها كانت تؤكد دوماً أن لياتنا نشاطها وقوانينها تملك أياً شئ مشتركاً معاً لياتنا تحرك تلك الظواهر وقوانينها.

أما المدارس الأمريكية فقد شددت على دراسة السلوك وضرورة التفكير في تعديله وتطويره إنزعة علماء النفس في كل بلد من هذه البلدان لم تكن مجرد صدفة، وإنما هي نتيجة لقوة الجذب التي تتمثل في الاتجاهات الفكرية السائدة في المجتمع. فاهتمام العلماء الفرنسيين بالعلاقة بين الفرد والمجتمع بشكل خاص يرجع إلى السيادة فلسفة كونتالو وضعية والمركز المتميز الذي تحتلها الظواهر الاجتماعية فيها. ونظرة العلماء الألمان إلى النفس ما هي إلا انعكاس لفلسفة هيغل وبرنتانو وهو سرل. وانشغال السيكولوجيين الأمريكيين بمعرفة قوانين تشكل السلوك ونموه لم يكن إلا استجابة لتعاليم الفلسفة البراغماتية.

إننا نبنينا اعتقادنا هذا على أساس أن علماء النفس هو شكل من أشكال الوعي الاجتماعي كغيره من العلوم الإنسانية والاجتماعية، يعبر عن التطور الثقافي والاجتماعي للمجتمع¹.

صورة الإنسان في الفكر السيكولوجي المعاصر:

من ناحية التطور التاريخي لعلم النفس فقد أمكن تحديد ثلاث مراحل كبرى هي: المرحلة الفلسفية التأملية، ثم مرحلة ارتباطه بعلم وظائف الأعضاء ودراسات الأعضاء الحسية، ثم مرحلة التبلور والاستقلال في المنهج والموضوع التي أدت إلى التيارات المتعددة التي تسود علم النفس المعاصر، حيث يمكن تحديد ثلاث مدارس كبرى في علم النفس هي: مدرسة التحليل النفسي، المدرسة السلوكية، المدرسة الوجودية.

1) صورة الإنسان في نظرية التحليل النفسي:

تعد نظرية التحليل النفسي من أبرز نظريات فهم الإنسان بالصورة أو اللوحة التي يرسمها التحليل النفسي للإنسان، حيث يظهر فيها الإنسان ذو طبيعة مجزأة ومنقسمة إلى ثلاثة أقسام في وحدة، والإنسان في ظل تفاعل هذه الأقسام يعيش صراعاً بفعل تناقض حاجات ومطالب الأقسام الثلاثة، وكأنها ترمز للتثليث المسيحي (الهو، الأنا، الأنا الأعلى)، ويشكل هو الجانب الغريزي أهم قسم يفسر سلوك الإنسان، والذي يعبر عنه فرويد بثنائية (إيروس: من حيث هو تجل للحب والكفاح من أجل الحياة، وتاناتوس: من حيث هو التجلي لغريزة الموت ودوافع هدم الحياة والعدوانية)، ومن ثم فالإنسان في ظل هذه المقاربة مجرد محصلة للدوافع البيولوجية الغريزية، وما ينتج عنها من صراعات بين الأقسام الثلاثة للشخصية².

¹ عامود، بدر الدين. علم النفس في القرن العشرين، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 20، ج2، ص 165.

² فرحاتي، العربي. تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان - قراءة في علوم الإنسان الحديثة ج1، الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2016، ص 260.

فالإنسان وفق نظرية التحليل النفسي كائن غير واع تحدد الغريزة الجنسية بنية شخصيته وتقرر مصيره¹ ولقد تصدت أعمال فرويد للإجابة عن أكثر محاور التساؤل المطروح على علم النفس أهمية، وهو ما يتجسد في تناوله لبنية النفس وعوامل نشأتها ونموها والعوامل المحركة لها، ولكنه بنى معالجته لهذا الموضوع على فرضيات ومسلمات من الصعب إن لم يكن من المستحيل الوصول إلى معطيات تجريبية أو ميدانية بشأن صحتها.

ولعله من الحقائق العلمية والتاريخية القول بأن هذا التصور كان نقطة ضعف بارزة في التحليل النفسي استهدفتها غالبية الحملات الانتقادية التي وجهت له، ومما زاد من حدة هذه المواقف هو إصرار فرويد على ضرورة التسليم بالطاقة اللبديوية كمبدأ عام وشامل يسري على الحالات المرضية والسوية في مختلف البيئات الثقافية القديمة منها والحديثة؛ وبالتالي فإن عدم منطقية هذه النظرية في بعض جوانبها، ونقص مبرراتها العلمية، قد أخضعها للتعديل من قبل من يمسون بـ "الفرويدون الجدد"، كما تصاعدت منذ ثمانينات القرن الماضي، دعوات تصحيح مسار التحليل النفسي التقليدي في علاقته المضطربة إلى حد التناقض بالدين، ومن بين أهم هذه الدعوات ما يمكن تسميته بالتحليل النفسي الإنساني من حيث هو إعادة بناء علم النفس التحليلي على أساس ديني مسيحي بالدرجة الأولى².

(2) صورة الإنسان في النظرية السلوكية:

الإنسان في المقاربة السلوكية ليس أحسن حالا من التحليل النفسي، فهو منظور يستهدف السيطرة والتحكم وبرمجة الإنسان، حيث اختزلت هذه النظرية مفهوم الإنسان اختزالاً شديداً في ضوء مفاهيم تكنولوجيا السلوك حتى صارت حياته النفسية غير واضحة أمام طغيان المثير الخارجي والاستجابة الخارجية، اختصرت الفعل الإنساني في الجانب الإجرائي، (الفعل المنعكس الشرطي) بحجة أن الخارجي من السلوك هو ما يقبل الملاحظة والتجربة، أما ما يحصل بداخل الفرد كالإرادة مثلاً، فلا يمكن ملاحظته ملاحظة علمية، وبالتالي لا يمكن قياسه والتحكم فيه، ويعتبر ذا وجود افتراضي أو هو من بنات الميتافيزيقا خارج نطاق العلم الوضعي، أي التركيز على أهمية البيئة على حساب الشخصية، وعليه فالإنسان في السلوكية خاضع للحتمية وقوانينها في السلوك، فما يتعلق بجوهر الأشياء والأفعال لا مكانة له في علم السلوكية والوضعية، فالموقف التعليمي المبرمج في الزمان والمكان والمحدد الأهداف هو ما يحدد السلوك، ويعدله ويغيره عن طريق قوانين تعزيز وتشكيل السلوك، وكأن إرادة الإنسان والاستقلال والحرية لا وجود لهما، فهو تصور للإنسان أقرب للآلة والماكنة يمكن السيطرة عليه. ومن هذا النقص الملاحظ في التفسير السلوكي للشخصية والصورة الآلية المرسومة للإنسان وتجاهله كتجربة ذاتية فاعلة انبثقت أفكار أخرى قيل عنها ثورة في السلوكية، وأنها تعديل لها³.

(3) صورة الإنسان في علم النفس الوجودي:

حاولت مقاربات ما سمي بعلم النفس الوجودي أن ترسم صورة للإنسان متميزة عن صورة الإنسان في كل من التحليل النفسي والسلوكية، وتمثلت في أنها صورة تعطي للإنسان البعد الوجودي السيكلولوجي والبيولوجي والاجتماعي، وأنها صورة للإنسان الذي يبحث عن المعنى وتأكيد حضوره في كل مواقف حياته باستمرار، ويركز هذا المذهب على واقع وجود الفرد وجوهره ككائن في الوجود، أو ما يسميه الوجوديون بالذات، وتعني أن الإنسان الوجودي هو من يعي حقيقة وجوده في المكان والزمان، ويستطيع أن يصنع قراراته باستمرار وبمسؤولية فالإنسان

¹ عامود، بدر الدين. علم النفس في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 436.

² فرحاتي، العربي. تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان، المرجع السابق، ص 261.

³ فرحاتي، العربي. تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان-قراءة في علوم الإنسان الحديثة، مرجع سابق، ص 272.

الوجودي هو حالة من البحث عن المعنى وإضافته على الذات وعلى الآخرين وعلى البيئة، وهي عملية مستمرة مادام الإنسان دائم الاكتشاف لما هو عليه، ولما هو ليس عليه.

وظواهر القلق والاستلاب والضيق هي محصلات ناتجة عن الوظيفة القمعية للأنساق الرمزية بما فيها الدين والمجتمع والشخصية الأصلية، ويميز الوجوديون بين نوعين من الشخصية هما:

(أ) **الشخصية الأصلية:** وتتميز مواصفاتها بالوعي بالوجود والاستمرار في إضفاء المعنى وإصدار القرارات وممارسة الحاجات السيكلوجية والوظائف الرمزية، والخيال والقدرة على إصدار الأحكام، وهو يساهم في بناء المجتمع وفي الطبيعة، يفعل بين خبراته الماضية والحاضرة وتطلعاته المستقبلية ويوازن بين الإمكانية والواقع، ويواجه مستقبله بشجاعة بفضل ما يثار لديه من قلق وحيرة اتجاه مجاهيل العالم.

(ب) **الشخصية غير الأصلية:** وهي عكس الأصلية في أن صاحبها سيكولوجي في التعبير عن الحاجات، يحدد دوره الاجتماعي بناء على الحاجات البيولوجية، يسعى لاستغلال غيره، لديه اتجاه مادي، نمطي في سلوكه يخاف من المستقبل؛ وبالتالي فهو يحتاج إلى علاج نفسي.¹ بيد أن ما يؤخذ عليهم هو أنهم لم ينظروا إلى الشخصية وما تحمله من حاجات ودوافع داخل المجتمع. وفاتهم أنها أي الشخصية هي نتاج العلاقات الاجتماعية. فبدلاً من أن يتبعوا تطورها ضمن الإطار التاريخي الاجتماعي، راحوا ينظرون إليها بمعزل عن علاقاتها وارتباطاتها الوثيقة والدينامية بالمجتمع، وإلى تشكيلها وصيرورتها وتطورها بالتوازي معورها كانت هذه النظرة نتيجة اعتقادهم الخاطئ بأن حاجات الإنسان ودوافعه، بل وجميع سماته تعود إلى جذور بيولوجية خاصة بالنوع الإنساني.²

3. خاتمة:

من خلال استقراء ما تقدم في هذا البحث، ومن خلال العرض السابق للإطار النظري، وما توصلت إليه نتائج الدراسات السابقة التي تم الاطلاع عليها يمكن الخلاص إلى ما يلي:

(1) أنه بالرغم من أن الجهود التي حاولت تفسير ماهية الإنسان ووجوده هي جهود جادة ومعقدة، إلا أن معظم النظريات السيكلوجية إنما أخذت بمفهوم الإنسان كما لو أنه ذو طبيعة حيوية أكثر مما هي نفسية روحية وهو مفهوم لا يتعد عن مفهوم الحيوان على خلاف النظرة القرآنية.

إن البحوث التي تستند على مرجعيات صلبة تصل إلى نتائج أكثر صدقاً، وما على وجه الأرض كتاب أعلى من القرآن الكريم، ولا كلام أرقى من كلام العليم الخبير، وإن القرآن الكريم يقدم نظرة متميزة عن الإنسان وعن خصائص النفس البشرية وعن الغاية من وجود وخلق الإنسان قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14) هذا العلم الشامل لخير لطيف لا يمكن أن يتصف بالتناقض أو بالرؤية القاصرة، أو بإغفال الجزئيات كما هو الحال بالنسبة للرؤية البشرية، فكان القرآن الكريم على الدوام معيناً لا ينضب، وذخراً لا ينفذ لكل من أراد أن يسمع صوت الحقيقة المطلقة. والرؤية الوحيدة الصادقة المحيطة بكل ظواهر الأمور وبواطنها مصداقاً لقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ (النساء: 82).

(2) الصورة التي خلق الله عليها الإنسان هي أحسن صورة خلقة، فقد خلق الإنسان في أجمل صورة، مديد القامة يتناول طعامه بيده، بينما خلقت المخلوقات الأخرى مكبة على وجهها، وإن هذه الخلقة السوية لدليل على تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات لها عميق

¹ عامود، بدر الدين. علم النفس في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 425.

² عامود، بدر الدين. علم النفس في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 427.

- الأثرمتد إلى الصحة النفسية والتوافق بجميع أبعاده نفسيا واجتماعيا، حيثلقد ربط كثير من علماء النفس في دراساتهم بين صورة الجسد والصحة النفسية وتقدير الذات والتفكير الايجابي وهو ما يتفق مع نتائج دراسة(عشوي، 1997).
- (3) يستطيع الإنسان ذو الصورة الجسدية الحسنة والخلقة السوية بالإيمان والعمل الصالح أن يحصل على أفضل صورة يرغب في الوصول إليها، وفق قواعد وشروط حددها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.
- (4) قدم العلماء المسلمون في مختلف فروع المعرفة مساهمات فذة ورائدة لمحاولة فهم النفس الإنسانية، ويمكن التنقيب عن هذه المساهمات، لإثراء رصيد البشرية في فهم الإنسان، حيث يمكن لعلماء النفس في العالم الإسلامي أن يقدموا إسهامات جليلة للإنسانية بعرض الحقيقة القرآنية عن النفس الإنسانية من خلال تبني منهج البحث العلمي القائم على الاستقصاء والأدلة ومدى ملائمتها للواقع الإنساني، ومساهمتها الفعالة في تحقيق إنسانية الإنسان ، وما أحوج شعوب العالم الإسلامي إلى تطبيق هذه الأفكار وهو ما كفت عنه نتائج دراسة **Hague (2004)**. الجرجاوي (2009)، Yucel، (2014)، دراسة Shehu (2015)، kasapoglu (2017).
- (5) لم يكن السيكولوجيون الغربيون يهتمون بما يعتبر عالمية السلوك الإنساني إلا مؤخرا، بل كان الاهتمام منصبا على دراسة السلوك البشري في إطار الثقافة الغربية بدلا من دراسة السلوك البشري في إطار الانتماء للجنس البشري
- (6) يلاحظ أغلب المتخصصين في علم النفس خلوا أغلب كتب علم نفس الشخصية من الإشارة إلى البعد الروحي في الشخصية، لأنه غير مرئي غير قابل للملاحظة المباشرة تماما.

1.3 التوصيات:

- (1) هناك غموض في الطبيعة الإنسانية لا يزال مضروبا عنها رغم تعدد مدارس علم النفس المعاصر، والسر أن علم النفس الحديث لم يستطع أن يغوص فيه لاستعصائه على مناهج البحث الحديثة، لذلك عدل علماء النفس المحدثون عن البحث في جوهر النفس والعقل والروح، ومدى صلة ذلك بمظاهر السلوك الإنساني إلى البحث عن مظاهر السلوك النفسي المادي لأنه يخضع لتلك المقاييس العلمية.
- (2) الإنسان يتكون من عدة أبعاد وإن هذه الأبعاد متبادلة التأثير والتأثر، مما يدل على الصعوبة التي تكتنف إخضاع النفس البشرية للدراسة، وهو ما يستدعي تضافر جهود العلماء والمختصين في مختلف فروع المعرفة ومجالاتها لذلك وجب أن تهدف الدراسات والبحوث إلى البحث في الصورة الكلية عن الإنسان الصورة التي لا تحمل أبعاد الإنسان الجسمية والروحية والعقلية والوجدانية والسلوكية.
- (3) يجب أن يتعاون مختلف المختصون على تشكيل وبلورة صورة الإنسان من خلال أبحاثهم وجهودهم التي ينبغي أن تندرج ضمن التصور الذي يراعي تفاعل وتكامل مختلف الأبعاد، وأنه يجب أن يكون هناك نهج شامل يجمع بين الأساليب الحديثة في مجالات الصحة وعلم النفس والروحانيات وعلم الاجتماع.

5. قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبو سمعان، محمد. " منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة-دراسة نقدية في ضوء الإسلام" (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2011.
3. الأحمد، سهيل محمد. "تنمية الموارد البشرية من منظور إسلامي". مجلة جامعة الأقصى. العدد1، 2012.
4. البرش، نعيمة آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم دراسة موضوعية.(رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2008.

5. الجرجاوي، زياد علي. "جدلية الخير والشر في النفس الإنسانية في الفكر التربوي الغربي والإسلامي -دراسة مقارنة"، مجلة جامعة الخليل للبحوث: العلوم الإنسانية، مجلد، عدد2، 2009.
6. الحولي، عليان. شلدان، فايز. "خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية"
7. رجب، عادل عبد اللطيف، مقومات النجاة في سورة العصر (دراسة تحليلية موضوعية)، مجلة كلية الدين بأسبوط ع33، 2016.
8. الشربيني، لطفي. "الإشارات النفسية في القرآن الكريم"، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، عدد23.
9. عامود، بدر الدين. علم النفس في القرن العشرين، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 20، ج2
10. عبد الله، ناصر يوسف. مقاصد العبادة في القرآن الكريم. مجلة كلية العلوم الإسلامية. 2013 .
11. العجمي، أبو اليزيد حقيقة الإنسان بين المسؤولية والتكريم. القاهرة: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، 1988.
12. عشوي، مصطفى. "الإنسان المتكامل في القرآن الكريم". المؤتمر العالمي عن الإرشاد والعلاج النفسي (كوالالمبور)، 1992.
13. عشوي مصطفى. الإنسان في فكر ابن القيم الجوزية-دراسة نفسية تربوية. مؤسسة العلوم النفسية والتربوية، 2015.
14. فرحاتي، العربي. تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان-قراءة في علوم الإنسان الحديثة ج1، الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2016.
15. النابلسي، محمد راتب. الهدف من خلق الإنسان. موسوعة النابلسي 1987. <http://www.nabulsi.com/>
16. Yucel .Salih."The Notion of "Husnu'lZann" or Positive Thinking in Islam: Medieval Perspective" *International Journal of Humanities and Social Science*, 2014. 4(6), P.101-112.
17. Haque Amber, Psychology from Islamic Perspective." Contributions of Early Muslim Scholars and Challenges to Contemporary Muslim Psychologists" *Journal of Religion and Health*, Vol. 43, No. 4 (Winter, 2004), p. 357-377.
18. . Shehu ,Salisu"A Study of the Islamic Perspective of Cognitive Development and Its Implications in Education in the Muslim World". *Revelation and Science*. 2015. 5(1), p.1-9
19. Kasapoğlu , Abdurrahman."Significance of Psychological Hermeneutics The Needs ,Benefits". *Hikmet Yirdu*. 2017. 10 (19). P. 9-51.